

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفْضَلُ!

إِنَّ مَنْ يَمْلِكُ سُلْطَةَ تَشْرِيعِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي دِينِنَا دِينِ الْإِسْلَامِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَيَأْذِنُ مِنَ اللَّهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَدْ عَلَّمَنَا اللَّهُ تَعَالَى الْحَرَامَ وَالْحَلَالَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نَحْيَا كَمُؤْمِنِينَ. وَالْمُؤْمِنُ بِلُغْتِهِ مِثْلُ النَّحْلَةِ، لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيْبًا، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيْبًا.¹ وَهُوَ دَائِمًا يَسَارِعُ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّا طَالَمَا كُنَّا بَعِيدِينَ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَكَانَتْ حَيَاتُنَا مَلِيئَةً بِالْخَيْرِ عِنْدَهَا سَنَعِيشُ بِسَكِينَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ. وَكُلَّمَا ابْتَعَدْنَا عَنِ الْحَرَامِ اقْتَرَبْنَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَكُلَّمَا تَجَنَّبْنَا الْمَعَاصِيَ ارْتَفَعَ قَدْرُنَا وَعَلَا شَأْنُنَا عِنْدَ الْعَرَبِ الْجَبَّارِ. وَعِنْدَمَا تَمَلَّيْ قُلُوبُنَا بِالصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ كَالْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالْوَفَاءِ وَالصِّدْقِ نَجِدُ الْإِسْتِقَامَةَ. أَمَّا إِذَا سَلَكْنَا طَرِيقَ الْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَةِ وَالْإِنْتِقَامِ وَالْكَذِبِ وَالْعَيْشِ فَسَوْفَ نُضَيِّعُ فِي الظُّلُمَاتِ. فَإِذَا طَبَّقْنَا الْحَلَالَ وَاتَّخَذْنَا سَبِيلًا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِنَا فَسَنَخْطُو خُطْوَةً خُطْوَةً نَحْوَ الْجَنَّةِ. أَمَّا إِذَا وَقَعْنَا فِي الْحَرَامِ وَتَلَطَّخْنَا بِهِ فَسَتَكُونُ نَهَائِتُنَا وَخِيَمَةً وَسَنَنْدُمُ أَشَدَّ النَّدَمِ.

إِخْوَانِي!

فِي هَذِهِ الْجُمُعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرِ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ، وَعَشِيَّةَ يَوْمِ الْعِيدِ، دَعُونَا نُرَاعِيَ حُدُودَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ حَتَّى تَكُونَ جَمِيعَ أَيَّامِنَا. وَدَعُونَا لَا نَتَعَدَّى عَلَى التَّشْرِيعَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَلِنَقُلْ بِكُلِّ صِدْقٍ وَمِنْ صَمِيمٍ قُلُوبِنَا 'أَمِينَ' لِدَعَايِ النَّبِيِّ هَذَا: "رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ مَنَّكَارًا لَكَ دَكَارًا لَكَ رَهَابًا لَكَ مُطِيعًا إِنَّكَ مُخَيَّبٌ إِلَيْكَ أَوْهَا مُنِيبًا."²

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفْضَلُ!

فِي نَهَايَةِ الْخُطْبَةِ أَوْدُ أَنْ أَدْكُرَ بِأَمْرِ مُهِمٍّ لَمْ يَتَبَقَّ سِوَى أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ لِعِيدِ الْفِطْرِ. وَابْتِدَاءً مِنَ الْيَوْمِ سَيَقُومُ الْكَثِيرُ مِنَّا بِالسَّفَرِ إِلَى أَقَارِبِهِ مِنْ أَجْلِ قَضَاءِ الْعِيدِ مَعَهُمْ. وَالْإِزْدِحَامَاتُ الْمُرُورِيَّةُ عَلَى الطَّرِيقِ عِنْدَ الذَّهَابِ وَالْعُودَةِ تَتَطَلَّبُ مِنَّا أَنْ نَكُونَ أَكْثَرَ حِرْصًا مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَفِي هَذَا الْخُصُوصِ أَدْعُو جَمِيعَ الْإِخْوَةَ إِلَى الْإِنْصِياعِ لِقَوَاعِدِ الْمُرُورِ، وَالتَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ وَالْحَدَرِ وَقُوَّةِ التَّحَمُّلِ، وَاخْتِرَامِ حُقُوقِ وَقَوَائِنِ بَعْضِنَا الْبَعْضِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...

جَعَلَ الْحَلَالَ يَسُودُ الْحَيَاةَ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ!

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي قُمْتُ بِتِلَاوَتِهَا: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ."³ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي قُمْتُ بِقِرَاءَتِهِ: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ."⁴

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ هِيَ حُدُودٌ وَضَعَهَا اللَّهُ لَنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. فَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ هُمَا مَفْهُومَانِ وَإِسْعَانِ لِلْعَايَةِ لَا يُمَكِّنُ اخْتِرَامَهُمَا فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ. وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ إِسْمَانِ لِلْوَعْيِ تُبْنَى عَلَيْهِمَا الْحَيَاةُ الْكَرِيمَةُ. وَهَذَا الْوَعْيُ يَشْمَلُ كُلَّ لِحْظَةٍ وَمَجَالٍ مِنَ الْجَوْهَرِ إِلَى الْكَلَامِ وَمِنْ أَفْكَرٍ إِلَى الْفِعْلِ وَمِنْ الْمَأْكَلِ إِلَى الْمَشْرَبِ إِلَى الْمَلْبَسِ وَمِنْ التَّسَوُّقِ إِلَى الْإِسْتِهْلَاكِ وَمِنْ الْعَلَاقَاتِ الْأَسْرِيَّةِ إِلَى عِلَاقَاتِ الْجَوَارِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفْضَلُ!

إِنَّ كُلَّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ يَخِمِي فِطْرَتَنَا السَّلِيمَةَ الَّتِي فَطَرَنَا اللَّهُ عَلَيْهَا هُوَ حَلَالٌ. وَكُلُّ مَا يُفْسِدُ هَذِهِ الْفِطْرَةَ وَيَضُرُّ بَعْثَتَنَا وَكِرَامَتَنَا وَحَيْثِيَّتَنَا فَهُوَ حَرَامٌ. فَالْحَلَالَ هُوَ الصَّالِحَاتُ الْمُوَافِقَةُ لِرِضَى اللَّهِ تَعَالَى. وَالْحَرَامُ هُوَ الْفَوَاحِشُ الَّتِي تَجْدِبُ غَضَبَهُ. وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ هُمَا جُزْءَانِ مِنَ الْإِمْتِحَانِ. وَمِثْلَمَا الْإِكْتِفَاءُ بِالْحَلَالِ هُوَ عِبَادَةٌ فَتَجَنَّبُ الْحَرَامَ أَيْضًا هُوَ عِبَادَةٌ. وَيُعْتَبَرُ تَحْلِيلُ الْحَرَامِ وَتَحْرِيمُ الْحَلَالِ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ.

1 سُوْرَةُ الْمَائِدَةِ، 87/5.

2 صَدِيقُ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، 39؛ صَدِيقُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْمَسَاقَاةِ، 107.

3 مَسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، الْجُزْءُ الثَّانِي، 199.

4 سُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ، كِتَابُ الدُّعَاءِ، 2.